عودة جهـ ـاد

وجدت عمتي مناسبة لترافق ابراهيم الى بيروت لزيارة ابنته، فالطريق غدت آمنة بعد خروج الفلسطينيين من بيروت وانسحاب الجيش الإسرائيلي..

كان جهاد معهما وكاميرته تتدلّى من كتفه، وبدا لي كأنه كبر عشر سنين أخرى.. لم أعاتبه أبدا بل ضممته الى صدري وهمست له "لاتفعل بي مثل هذا مرة أخـرى!" وفـي نوبة فرحي بلقياه بكيت بحرقة.. قال مبررا تصرفه:

-كان أول ما خطر ببالي وأنا شايف جيبي محشو بالمال أن أزور قبر أمي. ولكـن وين نورا؟

-في الحمام! لماذا لم تتلفن لي ؟

-كنت أعرف انك ما رايحة تسمحي لي أسافر وحدي..

-ليش تسافر لوحدك؟ كنت آخذك بنفسي..

-ما ردت تشوف نورا القبور!

قالت أم ابراهيم:

-كان لازم تشوفيه لما جاء عندي.. لم يذق طعاما منذ الصباح..

لم لم تشتر طعاما في الطريق؟

-ما ردت أصرف الاّ ثمن الفيلم، وأجرة الطريق.. وهذا ما بقي معي..

قلت له وهو يخرج ما معه:

-أترك الباقي معك، فأنت منذ اليوم تحتاج الى مصروف خـاص لـشراء الأفـلام وتحميضها..

تهلّل وجهه وقال:

-تعرفين تانت نبيلة أنني صورت كل شيء في طريقي حتى وصـلت الـى عـين الحلوة، الأغنام التي ترعى والناس على البحر، والبيوت المتهدمة من القصف، وأشـجار البرتقال المحروقة، وبقايا بيتنا في المخيم، وقبر أمي الذي وضعت عليه شاهدة ولم يـبن بعد، ورفاقي الذين صادفتهم في المخيم، نفذ الفيلم كله.. قام على عجـل وانطلـق الـى الباب..

-وين ياجهاد؟

-رايح حمض الفيلم عند المصور، وأشتري غيره لبكره، قبل مـاتطلع نـورا مـن الحمام..

قالت عمتي:

-لازم عبد الرحمن يتزوج لينسى مصابه.. أنا مستعدة أختار له أجمل بنـت فـي صيدا ترعاه وترعى ولديه! شو عم يعمل بفرنسا للآن؟

-انه يعالج ابنه وسيم..ألا تعلمين أن ساقه بترت وركبت له ساق اصطناعية؟

-لا والله، أنى لي أن أعلم!

- تعالي معي لتشاهدي صوره على الكومبيوتر..

كان ابراهيم قد نزل ليبيع ما أحضره معه من بضاعة مهربة الى تجار صغار فـي بيروت، وأمه تنتظر عودته لينقلها الى منزل ابنتها.. دعوتها للغذاء عندنا فقبلت، وجلست وإياها في مكتبي نشاهد صور وسيم.. تنهدت عمتي وقالت:

-ياحسرة على أولادنا وأحفادنا كم رأوا من أهوال! سألتها عن حال رامي فقالت:

-تحسن عن قبل، ولكنه لا يحب الذهاب الى المدرسة.. لقد تخلّف عن رفاقه فهـو ضخم وكبير على صفه، وفي كل صباح تعاني أمه كثيرا في ايقاظه ودفعه الى المدرسة، فحتى اليوم يبول في فراشه ويخشى الظلام..

أريتها أيضا الفيلم الذي أخذه زوجي يوم سافر الى الجنوب وتظهـر فيـه عمتـي وإبراهيم .. قالت عمتي بعد مشاهدتها الفيلم:

-لماذا أخلف زوجك وعوده مع خالد الصياد حتى نجح في الإنتخاب ذلـك الـسافل شريك غانم بنقود المافيا التي تصل إليه؟ والله عندي إحساس أنه وراء الحريق الذي حدث في مصرف زوجك لأنه أراد أن يدعم خالد في الإنتخاب.. ان أكثر من نـصف صـيدا انتخبته، والباقي كان مجلوبا من الخارج ليدعم كايد ديب ويولم على حسابه..

أنا في بيروت والطبيب في قرية النبي يونس وعمتي في صيدا نتفق معا في تقييم ما يفعله غانم وشركاءه للنجاح في الإنتخاب.. فهل هذه مصادفة؟؟

ولما وصل الفيلم الى لقطة طفل الكلاشينكوف الذي استشهد في شارع قرب المخيم جنوبي بيروت قلت لها:

-هذا ما يفعله أطفال الفلسطينيين الذين تتحاملين عليهم يا عمتي.. يحملون البارودة ويموتون وأمهاتهم تزغرد لأرواحهم الطاهرة في المخيمات. ان ما أصاب أطفالنا لا يقاس أبدا بما أصاب أطفال فلسطين..

هزت عمتي رأسها وأجهشت بالبكاء..

* * *